المنار
١٣١٥

﴿ قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾
مصر في يوم الاحد ٢١ محرم الحرام سنة ١٣١٨ ـ ٢٠ مايو (ايار) سنة ١٩٠٠

﴿ الترك والعرب ﴾

(١)

قام في الاسلام دول وممالك كثيرة أعظمها شأنا، وأطولها زمانا، وأشدها بأسا، وأوسعها سلطانا دولتا العرب بأقسامها والترك. واننا نرى الكتاب يخبطون في التفاضل بينهما خبط عشواء وقد غلا بعضهم في النيل من العرب حتى زعم أنهم لا قابلية فيهم للتمدن، ولا قدرة لهم على سياسة الممالك، وإقامة دعائم العمران. وأفرط هؤلاء في مدح الترك حتى كادوا يرفعونهم عن رتبة البشرية الى مصاف الملائكة المقربين، زاعمين أنهم ما وجدوا الا ليكونوا ملوكا حاكمين، أو آلهة معبودين. ومن الناس من تحامل على الترك حتى سلبوهم مزاياهم وفضائلهم وزعموا أنهم خلقوا فتنة للناس، وبلاء على الانسانية. فريق يتزلف فيعميه التزلف وفريق يتعسف فيضله التعسف. واننا نكتب نبذة في هذا المقام مما يمليه علينا التاريخ الصادق، ويشهد به الوجود الثابت، (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين)

نكتب لبيان الحقيقة. والعلم الصحيح لا يكون الا نافعا، كما أن الجهل

بحقائق الامور لا يكون الا ضارا. فلا يمكن أن ينكر علينا كتابتنا هذه الا من يفضل الجهل على العلم، والظلمة على النور، والضلالة على الهداية. ومن منافع العلم بهذه الحقيقة أن يعرف العرب الكرام، أنهم فوق ما يقول فيهم أعداؤهم اللئام فينشطوا الدفع العار الذي يُرمون به، ويجتهدوا في استرجاع مجد سلفهم الصالح، ومفاخر آبائهم الاولين. وأن يعرف الترك للعرب فضلهم كما يعرف العرب لهم فضلهم، ويأخذ كل منهما بيد أخيه ويتعاونا على الوحدة الاسلامية معتقدين أن الاسلام ساوى بينهما في الحقوق، وآخى بينهما في الدين. وانه ليس وراء هذا الا التفاضل بالاعمال، فيجب أن يكون عمل كل منهما متمما لعمل الآخر، وان امتياز جنس على جنس كما كان سبب الضعف فيما مضى يكون سبب الموت والفناء فيما يأتي من الزمن

وصف مؤرخ الترك العالم الشهير جودت باشا الدولة العثمانية في كلامه على تأسيسها بقوله «انها كانت جامعة الديانة والشجاعة العربية، متصفة بالثبات الذي هو من أخلاق الترك فلذلك كانت على صغرها في أول نشأتها مستعدة لان تكون كهفا وملجأ للملة الاسلامية». وما قال هذا المحقق الا حقا. فان الترك نجحوا بهذه الصفات الثلاث: العظمى منها أخذوها كغيرهم عن العرب وهي الدين، والثانية شبهوهم فيها بالعرب والمشبه به يكون أرقى وأقوى من المشبه في الصفة التي بها المشابهة، وأما الثالثة فهي مما امتاز به الترك على كثير من الشعوب والاجناس وهي أحد الاسباب في ثبات ملكهم وطول زمن دولتهم (أعزها الله وزادها ثباتا وبقاء بفضله وكرمه)

وثم سببان آخران جديران بالالتفات (أحدهما) أن الترك طبعوا كجميع الشرقيين ماعدا العرب على الخضوع الاعمى لرؤسائهم، وتقديس ملوكهم

وأمرائهم. وانما حصل التنازع على السلطة في العرب للمبدإ الديمقراطي الذي جاء به الاسلام وكان العرب أشد الناس استعداداً له ولكنهم ما رعوه حق رعايته بل تقلص ظله بعد الراشدين رويداً رويداً بضعف الدين في النفوس كما سنبينه بعد. و(ثانيهما) أن حالة البلاد الاسلامية التي نشأت فيها الدولة وفتوحاتها في جهة أوربا دون بلاد المسلمين وحالة المسلمين في البلاد المجاورة لها كانت تقتضي نجاح هذه الدولة وثباتها: ذلك أن الاختلافات السابقة والفتن والحروب الداخلية، واغارة جنكيز خان وأولاده وتدويخهم المسلمين وتنكيلهم بهم شر تنكيل - كل ذلك كان مربيا للامة الاسلامية على اختلاف شعوبها ومعداً لها بل وملجأ الى الخضوع والسكينة. فهذا هو المانع للشعوب الاسلامية من الكر على الشعب التركي وتدويخه وازالة سلطته وما كان أحد ليقوى في تلك الازمنة على المسلمين الا المسلمون الذين كان بأسهم بينهم شديداً، وما كانت اغارة تيمور لنك على البلاد الاسلامية في أوائل نشأة هذه الدولة الا زلزالا عنيفا صدع البلاد المجاورة لها وما أضر ببلادها هي الا قليلا. ما أضر بالدولة بل رباها فان السلطان بايزيد الاول الذي أسره تيمور لنك كان منغمسا في الترف مسترسلا في اللذات وقد خانه عسكره فانضوى قسم كبير منه الى تيمور لنك على أنه كان لا يزيد عن تسعين الف فارس وكان عسكر تيمور ٣٨٠ ألفا من التتر الاشداء الفلاظ. مات السلطان بايزيد بعد ثمانية أشهر من أسره (سنة ٨٠٥هـ) فتنازع أولاده على الملك فولى تيمور لنك على البلاد العثمانية أمراء قرامان والسلاجقة ورحل عنها الى الهند بعد ما عاث وسلب ونهب، وظل سرير السلطنة احدى عشرة سنة بغير سلطان فضعفت الدولة بذلك ولكن لم يكن في جوارها دول قوية تغتنم الفرصة فتجهز عليها ولذلك عادت اليها

قوتها سريعا على يد السلطان محمد جلبي بن السلطان بايزيد الاول الذي كان أول من أحدث العساكر البحرية في الدولة وارسال الصرة السلطانية الى الحرمين الشريفين

انما الترك أمة حربية وما كانوا أشد بأسا من العرب وأين فتوحاتهم من فتوحات العرب مع أن مدتهم أطول من مدة دول العرب كلها والبلاد التي فتحها العرب هي التي نما فيها الاسلام وثبتت أصوله، وعلت فروعه ومعظم البلاد التي فتحها الترك كانت وبالا على الاسلام والمسلمين ولا تزال تتذرع بالبلاء المبين. لا أقول إن تلك الفتوحات مما يعاب بها الترك ويذمون ولكنني أقول إن الفضل الاكبر في الفتوحات الاسلامية للعرب وان الدين انتشر بالعرب واعتز بهم فأساسهم أقوى اساس، ونبراسهم اضوء نبراس، وهم خير امة أخرجت للناس. ولا أنكر أن للترك فضلا، وذكاء ونبلا. ولا أحب أن أطيل القول في المقابلة بالفتوحات وما هو أكثر منها فائدة للاسلام والمسلمين فكل من له شمة من معرفة التاريخ الماضي والحاضر يعرف أن معظم البلاد التي تمكن فيها الاسلام هي مما فتحه العرب وانتشر الدين فيه بواسطة العرب. وسنأتي في مقالة أخرى على المقابلة بين الجنسين في العلوم والفنون والزراعة والتجارة وسائر أمور المدنية والعمران

﴿ الدين والدنيا والآخرة ﴾

(٣)

أثبتنا في المقالتين السابقتين أن العقل والنقل والفطرة البشرية، والاديان السماوية متفقة كلها على أن الله تعالى انشأ الانسان من الارض واستعمره